بسم الله الرحمن الرحيم

الـصـحـوة فـي نـظـر الـغـربـيـيـن

موضوع حديثي إليكم الليلة هو الصحوة في نظر الغربيين وهــذا هو الــدرس التاسع والســبعون من سلســلة الــدروس العلمية العامــة, وهذه ليلة الاثـنين, التاسع والعشــرين من شهـر جمـادى الاولى من سنة 1413 للهجرة ...

أولا : موضوع ساخن !!

هذا موضوع ساخن, فإن السـاحة الإعلامية الغربية والشـرقية ملأى بـالكتب والدراسـات الـتي تحـاول - على حد تعبـيرهم - أن تكتشف الاسلام . ومنذ عشرات السـنين كـانت العنـاوين التالية تصـدم عين الناظر في الكتب والصحافة الغربية : (خنجر الإسلام) , (الإسـلام المسعور) , (التهديد الإسـلامي للغـرب) , (الإسـلام المناضل) , إلى غــير ذلك من العنــاوين . وكــانت الحركـات الإســلامية الــتي يسمونها هم حركات الغضب الإسلامي كانت رمزاً وشعاراً للإسـلام يتعرفـون إليه من خلال تـداول أحاديثها وأخبارها ومغامراتها . حـتى أصبح هذا الحديث أشبه ما يكون باللازمة التي قلما يصدر عنهم أي عمل إعلامي كتاباً كان أو مجلة أو صحيفة أو حـتى فلمـاً تلفزيونيـاً أو غــير ذلك إلا ويطعمونه بشــيء قليل أو كثــير من الحــديث عن الإسلام وخطر الإسلام ! حتى بلغ بهم أنهم منذ ســنوات في أمريكا أصدروا فلماً اسـمه (إيمانويل السـوداء) وهـذا الفيلم كـان فيلمـاً خليعاً داعراً عارياً , وكان الجنس يمـارس فيه في معبد فرعـوني , وبدلاً من الموسيقى التصويرية كانوا يقـدمون صـوت المـؤذن على مثل هذه المشاهد القبيحة.
وخلال الأحداث المتسارعة الأخيرة التي جرت في العالم الإسـلامي مثل أحــــداث الجزائر وانتخاباتها , والحــــرب العراقية الإيرانية , ثم حــرب الخليج الثانية بين العــراق والــدول المتحالفة , وما تلى ذلك من سقوط الشيوعية وتفكك عقدة الاتحاد السوفييتي .. بــرزت من خلال هـذه الأحـداث الكثـيرة دراسـات عـدة , بل عقد الكـونجرس

الأمــريكي جلســات متواصــلة لدراسة الإســلام ودراسة الصــحوة الإسـلامية , وظهر الإســلام كمرشح بـديل عن الاتحـاد السـوفييتي للعـداوة الـتي يمكن أن يوجهها الغـرب إليه في نظر الكثـيرين ؛ بل كان الإسلام عنوانـاً جـذاباً لعـدد كبـير من أغلفة الصـحف السـيارة فضلاً عن الكتب التي يضمن لها الرواج إذا كان الإسلام عنصراً في عنوانها .

ومنذ شـهور كتبت مجلة "التـايم" مقـالاً كـان هو عنـوان الغلاف : (الإسلام والسيف) , ورسمت على الغلاف صورة لمأذنة تعـبر عن الإسلام وإلى جوارها صورة للبندقية .

إذن .. فكيف لا نتحدث نحن عن هذا الموضـوع ونحن المسـتهدفون فيه وهو موضوع لكثير من الدراسات الغربية ؟! هـذا المسـوغ بحد ذاته كاف للكلام عن هذا الموضوع , فضلاً عن المسوغات الأخــرى .

ثاني هذه المسـوغات هو أن التـأثير السياسي للقـرار الغـربي على الأمم الشـرقية تـأثير كبـير , بل لا أبـالغ إذا قلت إن القـرارات ذات الأهمية لا بد أن يكــون المرجع فيها الغــرب ! ومن القــرارت ذات الأهمية الموضــوعات المتعلقة بالصـحوة الإسـلامية , أو ما تسـميه وسائل الإعلام العربية والغربية بالتطرف ؛ فإنهم يعتبرون التطـرف هو أحد الموضوعات الخطـيرة الـتي يجب أن تُـدرس على مسـتوى عالٍ , وأن يتم التشاور فيها بين مراكز صناعة القرار في الشــرق - إن صـحت هـذه التسـمية - وبين المراكز الغربية .. بل إن الغـرب بكل وقاحة يطـالب - كما سـأتلوا عليكم بعد قليل - أن لا يتم اتخـاذ أي قرار يتعلق بالصحوة الاسلامية إلا وتكـون أمريكا هي الـتي تتخذ هذا القرار وحدها دون غيرها !!

ثالثاً : أن الصحوة الإسلامية بذلك مستهدفة من قبل أعداء الإسلام في الشـرق والغـرب ؛ لا أقـول الصـحوة , بل الأمة الإسـلامية كلها مستهدفة .. مسـتهدفة في عقيـدتها ومسـتهدفة في وجودها . فـإن الخيار يطـرح أحيانـاً هكـذا : علينا أن نعمل على ذوبـان المسـلمين في التيار العـالمي , والـذي يستعصي على الـذوبان علينا أن نقـوم بتصفيته والقضاء عليه . وهكذا يقدم الخيـار من قبل أشـخاص ذوي أهمية فكرية وسياســية كما قــدمها الــرئيس الأمــريكي الأســبق "ريتشــارد نكســون" في أحد أطروحاته ، وســوف أعــرض لها بعد قليل .

إذن فالصحوة بل الأمة مستهدفة في نظر الكثيرين , وكيف لا يحق لأمة تواجه هذا النـوع من التهديد أن تعـرف موقع أقـدامها ومن هو عــدوها من صــديقها , وما حجم المخــاطر الــتي تواجهها وما نــوع الأرضية التي تسير عليها ...

رابعاً : إن المسلمين باقون على ظهر هـذه الأرض شـاء الكفـار أم أبوا , لأن هذا القرار لم يصـنع في الكـونجرس ولا صـنع في الـبيت الأبيض ولا صنع في البنتاجون, وإنما هذا قدر الله, وقدر الله تعـالى غـالب . قـال الله تعـالى : { إنا نحن نزلنا الـذكر وإنا له لحـافظون } .. حفظ القــرآن هو بحفظ صــحائفه وآياته وكلماته , وهو أيضــاً بحفظ العـاملين به والحـافظين له والـداعين إليه , فـإن هـذه الأمة هي أمة القرآن . ويقـول الله عز وجل : { هو الـذي أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كـره الكـافرون } , وفي آية أخرى {ولو كره المشركون} .

إذن , القرآن نزل ليحكم وليهيمن وليظهر على الأديان كلها , وكـان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم معبراً بالتفصـيل عن هـذه المعـاني العظيمة , فقـال الرسـول صـلى الله عليه وسـلم : ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقـول الحجر يا مسـلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله)) , وقال عليه الصلاة والسلام : ((لا يزال الله تعالى يغرس لهذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته)) , وقال عليه الصلاة والسـلام : ((لا يـترك الله بيت مـدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى الإسـلام بعز عزيز أم بـذل ذليل ، عـزا يعز الله به الإسلام وذلا يـذل به الله تعـالى الكفر وأهله)) . بل أخـبر النـبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة سـوف تنعم بقـرون من الحكم الإسلامي النظيف العظيم قبل قيام الساعة حينما تجتمع هذه الأمة وتقاتل الدجال , وتكون قيادتها أمثال المهدي المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم , وعيسى ابن مـريم الـذي أخـبر النـبي عليه الصلاة والسلام بنــزوله , بل أخــبر الله تعـالى بنــزوله ، قـال الله عز وجل : { وإنه لعِلمٌ للسـاعة فلا تمـترنّ بها } , وفي قـراءة أخــرى { وإنه لعَلَمٌ للســاعة } ، وقــال ســبحانه : { وإن من أهل الكتـاب إلا ليـؤمنن به قبل موته ويـوم القيامة يكـون عليهم شـهيداً } . المسـلمون واليهـود والنصـارى كلهم جميعــاً يؤمنـون بخـروج المسـيح , لكن المسـلمين يؤمنـون به بمقتضى التنــزيل القـرآني والحديث النبوي ليقود المعارك الفاصـلة ضد اليهـود وضد النصـارى وضد جميع الكـافرين ؛ أما اليهـود فمسـيحهم هو مسـيح الضـلالة

المسيح الدجال الذي يزعمون أنه يقيم دولتهم ؛ أما النصارى فإنما مسيحهم أغلوطة وأكذوبة , فإن المسيح إذا ظهر كذب مزاعمهم ودعاويهم التي انتسبوا بمقتضاها إليه وزعموا أنهم حملة دينه وحفظة رسالته. والجميع أيضاً يتحدثون عن معركة فاصلة يسميها اليهود والنصارى "هيرمجدون" ويقررون جميعا أن موقع هذه المعركة فلسطين بالذات , ويسمونها المعركة الفاصلة بين قوى الخير - في نظرهم - التي يمثلها اليهود والنصارى , وقوى الشر - في نظرهم - التي يمثلها المسلمون .

إن الإسلام وجد ليبقى , ونزل ليحكم , وإن هذه الأمة لا تنقطع أبداً حتى يبعث الله الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين , فحينئذ لا يبقى في الأرض إلا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة . وما دام الإسلام نزل ليبقى وليحكم وليدير أمور الحياة فإن أهل الإسلام يديرون المعركة مع أعداء الإسلام , وعليهم أبداً أن يشعروا أنهم في غرفة القيادة ، قيادة معركة الإسلام الكبرى مع خصومه وأعدائه ، سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو كانوا من المنافقين الذين يشكلون الطابور الخامس بين المسلمين . وأمة هذا شأنها وهذا قدرها وهذا حكم الله تعالى الكوني فيها , ينبغي أن تدرك حجم قوتها وأن تدرك إمكانياتها , لأن الأمة لو استهانت بقوتها أو ضعفت أو ظنت أنها لا تستطيع أن تصنع شيئاً لكان ذلك طعنةً إلى قوتها وضربة في خاصرتها ، ولو أن هذه الأمة أيضاً رأت أنها تملك من القوة والنفوذ أكبر من الواقع لكان ذلك مغامرة غير محمودة العواقب . فواجب على الأمة أن تعرف حجم قوتها وموطن قوتها وأن تعرف أيضا مواطن ضعفها لتعالجها وتعرف كيف تتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب ...

<u>النقطة الثانية : عقدة المؤامرة</u>

قبل أن أتحدث عن هذا الموضوع الخطير أود أن أعرج على ما يسمى بـ "عقدة المؤامرة" التي يتعامل معها الكثيرون أحياناً بصورة غير دقيقة .
أولاً : هناك من يفسر ألوان الفشل الذي منيت به الأمة , سواء كان فشلاً عسكرياً أو صناعياً أو اقتصادياً أو سياسياً , يفسر ذلك بالكيد الخارجي ! فمن السهل على الناس أن يقولوا إنما ما أصابنا

بسبب الاستعمار أو بسبب الصهيونية العالمية أو بسبب اليهودية أو بسبب النصارى أو ما أشبه ذلك ، وكل هذا يعد تهرباً من تصحيح الأخطاء ومعرفة الضعف والرجوع عنه . إن الغرب والصهيونية والاستعمار والشيوعية وكل قوى الارض لم تكن لتصنع شيئاً بهذه الأمة لولا أن هذه الأمة أتيت من داخلها ، من عقر دارها ، من قلوبها ، من تخلفها هي عن دينها ، من عدم اعتمادها على ربها وعدم توكلها عليه , وعدم صدقها في حمل رسالة الإسلام وعدم اجتماعها على الدين , ولذلك أصبحت لقمةً سائغة لكل عدو وأصبحت مسرحاً للجريمة وأصبحت جسماً قابلاً لكل الجراثيم , أما لو صبرنا واتقينا وصدقنا ما ضرونا أبداً ، قال الله تعالى : { وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً } . فهذا نمط من الناس ينسبون كل ما أصابنا إلى عدونا وكأننا نحن أبرياء وأوفياء وصادقين ولكن العدو كان شرساً ، ونسوا أن هذا العدو نفسه واجه المسلمين الأولين فما ضرهم شيئاً وانتصروا عليه على رغم قلة عددهم وعُددهم .. لماذا ؟! لأنهم كانوا صادقين في دينهم وفي التزامهم وفي معاملتهم مع الله عز وجل , وبالمقابل هناك على النقيض من يطرحون الغرب اليوم كصديق حميم للمسلمين ويعتبرون أن سقوط الشيوعية هو سقوط لما يسمونه هم بالمبادئ الأديولوجية - يعنون بها العقائد كلها - فيقولون انتهى دور العقائد في التأثير السياسي العالمي ولا مجال للعقيدة في المعاملة بين الدول , بل المعاملات اليوم بيننا وبين الغرب يجب أن تخضع للمصالح لا للمبادئ . وهذا الكلام طرح كثيراً في ندوات إعلامية وصحفية وكتب ودراسات . وقد كانت مجلة "المجلة" التي تصدرها "الشركة السعودية" من أول الصحف مبادرة إلى طرح هذا الموضوع , ولا زالت هي وشقيقاتها تضرب على هذا الوتر ، وتر أن العداوة قد انتهت وأن العلاقة بيننا وبين الغرب يجب أن تكون علاقة مصالح متبادلة لا غير . ومثل هؤلاء يعتبرون أي تفسير للدوافع الغربية أنها تعمل ضد الإسلام أو تخاف من الإسلام أو تخطط لحرب الإسلام , يعتبرون هذا نوعاً من التفسير التآمري الذي لا يقبلونه !

وقريباً من ذلك كتبت مجلة "اليمامة" قبل شهور مقالاً طويلاً عنوانه "حديث غير شجي عن الإسلام والغرب" وعلى رغم أنها ناقشت بعض الموضوعات نقاشاً علمياً إلا أنها جنحت نوعاً ما إلى التهوين من شأن العداوة الغربية للإسلام .

إذن فنحن نـود أن يكـون حـديثنا عن هـذا الموضـوع حـديثاً معتـدلاً بعيداً عن ألوان المبالغات ، وقبل أن أقدم النتائج التي توصلت إليها في هذا الموضوع ، فإنني سوف أعرض لكم عدداً من النمــاذج من مقالات وكتابات وأقوال الغربيين عن الإسـلام والصـحوة الإسـلامية حــتى تشــاركوا أنتم بأنفســكم من خلال ما تســمعون أو من خلال الرجوع إلى المصادر نفسـها في اسـتخراج النتـائج والموافقة عليها أو ردها . وها هنا عــدد كبــير من الكتب وعــدد كبــير من المجلات ولكني سوف أجتزأ بشيء من ذلك , فمن هذا :

النموذج الأول : وهو عبـارة عن كتـاب ألفه "ريتشـارد نكسـون" الرئيس الأسـبق للولايـات المتحـدة , واسـمه "الفرصة السـانحة" , ويقـول عـدد من المحللين أن هـذا الكتـاب يعتـبر أهم كتبه التسـعة على الإطلاق . وقد تكوّن هـذا الكتـاب من سـبعة فصـول تكلم فيها عن أمريكا ودور أمريكا في قيادة العالم وأنها يجب أن تظل زعيمــاً متوجــاً ، ونــادى الأمريكــان بــأن لا يخلــدوا إلى الراحة وأن يظلــوا مكافحين لاحتلال الموقع القيادي على المستوى العالمي .
الذي يهمنا في هـذا الكتـاب هو الفصل الخـامس , فقد خصصه عن المسلمين وتكلم في هـذا الفصل عن الخطر الاسـلامي وهـوًن من شأن العـالم الإسـلامي ومن شـأن خطورته لاعتبـارات عـدة ، حيث قـال أن العـالم الإسـلامي يعـاني أولاً من التفكك السياسي الـذريع بين دوله الــتي يصــعب أن تجتمع على أمر ما ، ثم إنه يعــاني من المشكلات المستعصية والتمزق العقائـدي والمـذهبي الـذي يعصف بالشعوب , وبناءً عليه فإن العـالم الإسـلامي في نظـره لا يمكن أن يتوحد ولا أن يكون له موقف محدد من القضايا الكبيرة . ثم يضـيف أن الحركـــــات العالمية الإســـــلامية يمكن أن تنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسة :
المجموعة الأولى يسميهم بالأصوليين , ويمثل لهؤلاء بالثوار الشيعة في إيران أو لبنان أو غيرها من الذين يؤمنون بالمبادئ الثورية .
الفئة الثانية يسميهم الرجعيين , وهؤلاء يعتبر أنهم هم الدكتاتوريون الذين يحكمـون دولاً بنظـام الحـزب الواحد ولا يريـدون من أحد أن ينافســهم ، ويضــرب مثلاً لهــؤلاء الدكتاتوريــين الرجعــيين بحــاكم العراق وحاكم ليبيا .
القسم الثـالث يسـميهم التقـدميين ، والتقـدميون هـؤلاء هم الـذين يــرون الربط بين الإسـلام والعروبة وليس لهم نظــرة عدائية تجــاه

الغـــــرب مثل تركيا أو باكســــتان أو مصر . فهي دول تقيم أوثق العلاقـات والروابط مع أمريكا والغـرب , وليس بينهما وبين الغـرب أية معاني عدائية أو مفاهيم تصادمية .
ومع أن الرجل يــرى في هــذا الكتــاب أنه لا بد لأمريكا أن تــدعم الطائفة الثالثة من التقدميين الذين لا يحملون العداء للغــرب , أولاً : لمصلحة الغرب نفسه ، ثانياً : دعمهم لمقاومة الأصولية والقضـاء على الحركات الإسلامية في داخل دولهم .. إلا أنه مع ذلك يـرى أنه لا يمكن أن يــدعم هــؤلاء دعما مطلقا , ولا يمكن أن يوثق بهم لأن من الممكن أن تتغير هـذه الـدول في سياسـاتها , ومن الممكن أن تقع يومــاً من الأيــام في أيــدي من يســميهم بالأصــوليين . ومن الطريف أنه يقول بـالحرف الواحد في كتابه هـذا : "علينا أن نتقبل في بعض الأحيــان رفض أصــدقائنا في العــالم الإســلامي لبعض تصرفاتنا التي تسبب لهم حرجاً سياسياً في بلادهم , فعنــدما ألقت الولايات المتحدة الأمريكية القنابل على ليبيا قام كثير من الزعمــاء في المنطقة بلعننا على الملأ وبالثناء علينا في ســرهم، فيجب أن لا يزعجنا أن تضـطر الظـروف أصـدقاءنا أن يتفوهـوا ببعض السـباب ضدنا إرضاءً لأعدائنا" !!!
إذن ضـمن الاسـتراتيجية المتفق عليها مع من يسـميهم بالتقـدميين أنهم قد يعطـون فرصة أن يسـبوا أمريكا ويلعنـوا النظـام الـدولي الجديد ويتكلمــوا عن جــرائم أمريكا ويحتجــوا عليها علانية وعــبر وسائل الإعلام , في الوقت الذي يسرون إليهم بـالمودة ويتكلمـون معهم سراً بلهجة المؤيد لما فعلوا ! هذا نمـوذج من النمط الغـربي في الحديث عن القضية الإسلامية .

النموذج الثاني : وهوكتاب للرجل ذاته , اسمه : "1999 نصرٌ بلا حــرب" , يعــني أنه في نهاية القــرن الميلادي الحــالي ســيتحقق لأمريكا نصر دون أن تحتاج إلى أن تخوض حرباً مع أعـدائها , وهـذا الكتاب مهم في جوانب منه , وكبـير . وباختصـار فـإن الرجل يتوقع في هـذا الكتـاب أن يسـتمر الـروس والأمريكـان - وكـان هـذا قبل سقوط الاتحاد السوفييتي - حتى نهاية القرن في قيادة العــالم , ثم يتوقع أن ينضم إليهم في القــرن القــادم اليابــان - الــذي أســماه العملاق - , وأن تنضم إليه الصين الشيوعية - الذي ســماها العملاق الــذي يســتيقظ - , وأن تنضم أيضــاً أوروبا الغربية - الــتي ســماها العملاق المفتت الذي تعصف به الخلافات وتقضي على وحدته - .

إذن منصة القيـادة سـوف تتسع لهـؤلاء جميعـاً إضـافة إلى أمريكا والاتحاد السوفييتي , والغـريب في الأمر أن الرجل دعا في الكتـاب إلى أن تصـبح اليابـان قـوة عسـكرية عالمية جديـدة , وأن تـدخل ميـدان التصـنيع العسـكري , ثم قـال إن هـذا الـدور يتطلب عمـالاً كثـيرين - أيـدي عاملة رخيصة الثمن - لكي تحقق هـذه الصـناعات اليابانية قـدرة التنـافس العـالمي .. وهنا يـبرز السـؤال : من أين سوف يأتي العمال أصحاب الأجـور الرخيصة إلى اليابـان ؟! قـال : هؤلاء العمـال سـوف يؤتـون من دول العـالم الثـالث - الإسـلامي - الذي يشهد نمواً سكانياً كبيراً .

وحين ينـتقل إلى أوروبا يتحدث عن ضرورة إحساس أوروبا بالدفاع المشـترك , ويقـترح توحيد الجيـوش الأوروبية لإيجـاد حل لمشـكلة الدفاع ضد أي عدو محتمل .

ثم يخصص فصلاً عنوانه "ساحات المعـارك" .. أين تتوقع أن تكـون سـاحات المعـارك ؟! إنها فيما يسـميه العـالم الثـالث . ففي حالة تفـاقم الصـراع بين هـؤلاء العمالقة فـإن ميـدان الحـرب هو العـالم الثالث الذي هو العالم الإسلامي في غالبه . أما في حالة الانسـجام والاتفاق بين هؤلاء العمالقة فإن العـالم الإسـلامي هو الغنيمة الـتي يتنادون إليها ويتداعون إليها , مصـداقاً لحـديث الصـادق المصـدوق صـلى الله عليه وسـلم : (يوشك أن تتـداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها , قالوا أمن قلة بنا يومئذ يا رسـول الله ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) .

يتكلم عن العالم الإسلامي فيشير إلى القـوة البشـرية , ويقـول إن أربعة من كل خمسة يولدون في العالم هم يأتون من العالم الثالث - يعني أربعة أخماس المواليد هم في العالم الثالث - , ويشـير أيضا إلى أن الغرب جزيرة تعج بالقدرات والخيرات والثروات وسط بحر من الفقر يمثله العـالم الثـالث , وبالدرجة الأولى أفريقيا الـتي فيها أدنى نسبة في الدخل الفردي التي تصل إلى حد الصفر وحد العدم اليوم في الصومال وجيرانها .

إذن أوروبا جزيـرة غنية في وسط بحر فقـير , والعـالم الثـالث مع ذلك هو بـؤرة الحـروب والثـورات في العـالم , ولـذلك فـإن سـاحة الحرب العالمية الثالثة وسـاحة القتـال - كما يقـول - سـوف تكـون هي العــالم الثــالث . وبقــدر ما تحــدث هــذا الرجل عن الخطر الشـيوعي , تحـدث عن التيـار الـديني الأصـولي الـذي يسـعى إلى إشباع الحاجات الروحية والمعنوية للإنسـان في العـالم الإسـلامي ,

ولـذلك قـال : إن ريـاح التغيـير في الشـرق الإسـلامي وصـلت إلى مرحلة الإعصار الذي لا يمكن وقفه ولكن يمكن تحويل اتجاهه .
يقــول : القــوة الإســلامية الممثلة في الجماعــات الإســلامية وفي التيارات الدينية وفي الجهود الفردية وفي التوجهات الشعبية , هـذه القوى الإسلامية اليوم إعصار لا يمكن للغرب أن يوقفه ولكن يمكن أن يسعى الغرب إلى تحويل اتجاهه من وجهة إلى أخرى .
ثم تكلم عن إسرائيل والالتزام الأمـريكي ببقائها وبـرر ذلك بـأمور ؛ أولاً : أن إســرائيل دولة ديمقراطية عكس الــدول الأخــرى العربية كلها ، ثانيـاً : أن إسـرائيل دولة ارتقى شـعبها إلى مسـتوى تعليمي أصبح ينـافس شـعب اليابـان في ذلك ، ثالثا : أن إسـرائيل دولة بلا مــوارد ومع ذلك فــإن اقتصــادها الصــناعي قــادر على المنافسة العالمية ، رابعــاً : أن القـوات المسـلحة لليهـود في إسـرائيل من أفضل جيوش العالم ... ولـذلك فـإن أمريكا تـدفع لإسـرائيل أعظم الإعانات . فالذين يستحقون الإعانة في العـالم كله في نظر أمريكا عددهم ثلاثة مليارت إنســان , ولكن الواقع أن ربع الإعانة الأمريكية يذهب إلى إسرائيل التي لا تشكل إلا ثلاثة ملايين يهودي فقط .
وأخيراً يخلص هذا الرجل السياسي المفكر إلى النتائج التالية :
أولاً : أن التغيير قادم وقائم لا بد منه . إذن هو يقر بأن هناك تغيــير على مستوى العالم وعلى مستوى العالم الإسلامي وأنه لا مفر من هذا التغيير .
ثانياً : أن الصراع والتـنافس قائم وقـادم أيضـاً ولا بد منه . ولا شك أن ما قاله صحيح من النظرة الشـرعية , فـإن الله تعـالى يـبين لنا في القــرآن أن الخلاف قــائم بين البشر { ولو شــاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمـنين } , وقال الله عز وجل { ولا يزالــون مختلفين إلا من رحم ربك ولـذلك خلقهم } . إذن الله تعالى بين في القرآن الكـريم في مواضع عـدة أن الصــراع والخلاف بين البشر قـائم لا محالة , وأن التغيـير أيضــاً موجود وهو من طبيعة الأشياء , فإن الأمور لا تستقر على حال في هذه الحياة الدنيا .
ثالثا : أن ساحة القتال هي العالم الثالث .
رابعا : أن الغرب أثبت أنه يجيد إرسال الأموال إلى مــواطن الإعانة وذلك في شــكل معونــات ومســاعدات , ولكنه لم يثبت - على حد تعبير نكسون – أنه يعمل لدعم مبادئه !!

يقول نحن نعطي أموالا دون أن نؤثر في الناس مقابل هذه الأموال , ولهـذا فـإن التوصـية أن على الولايـات المتحـدة أن تتصـدر حملة عالمية لانـتزاع الزعامة الروحية وليس فقط الزعامة الاقتصـادية أو الزعامة العسـكرية . وبمعـنى آخر فإنه يـدعوا أمريكا إلى أن تقـدم الإنجيل في يد على حين تقـدم المسـاعدة في اليد الأخـرى . وهـذا يفسر لنا الحملة المسـعورة للمنظمـات الصـليبية التنصـيرية من أمريكا وبريطانيا الـتي أصـبحت تجتـاح العـالم كله وتجتـاح العـالم الإسلامي على وجه الخصوص , فإن مئات الإرساليات انطلقت إلى الجمهوريـات السـوفييتية المسـتقلة حـديثاً , ومئـات الإرسـاليات والجمعيات انطلقت إلى الصومال وإلى منطقة أفريقيا بشكل عـام وإلى أندونيســيا وإلى مصر وإلى دول الخليج العــربي مبشــرة بالإنجيل , فضلاً عن جهود إعلامية ضخمة مكثفة في هـذا السـبيل . إنهم يقولــون ويصــرحون بأنه لا يجــوز أبــداً أن نــدفع الإعانــات والمساعدات دون أن نقـدم للنـاس الهداية الروحية - كما زعمـوا - وإشباع حاجاتهم ، فلا بد أن نقـدم لهم النصـرانية في الـوقت الـذي نقدم لهم فيه الغذاء والكساء والدواء ، وألوان المساعدات .

النموذج الثالث : كتاب مهم جداً اسـمه "التوقع العظيم" , وهـذا الكتاب لم يترجم بعد في حـدود ما أعلم , وقد ألفه رجلان أحـدهما اسمه "جيمس ديل" والثاني اسـمه "لـورد ويليـام ريس" , وترجمه لي الأخ الكـريم الأسـتاذ عبدالله البتـال وأرسل لي جـزءًا من هـذه الترجمة . وقد صـدر هـذا الكتـاب عـام 1991 , وأبـرز ما في هـذا الكتـاب أنه يؤكد أولاً أن أمريكا أنفقت مبـالغ طائلة - وصَـفَهَا بأنها تريليونــات من الــدولارات - في الماضي في التســليح لمواجهة ما يسمى بالحرب الباردة - مواجهة الاتحـاد السـوفييتي - , ولكنه قـال أن هذه الآليات الضخمة التي تملكها أمريكا اليوم لا تصـلح أبـداً ولا تناسب لمواجهة الأعداء الجدد لأمريكا , فـإن هـؤلاء الأعـداء ليسـوا قوة قارية ضخمة على غرار الاتحاد السـوفييتي يحتـاجون إلى هـذه الآليات الهائلة , وليسـوا قـوة دكتاتورية محـددة وهـدف مباشر كما هي الحـال في العـراق أثنـاء الحـرب السـابقة , ولكنهم عبـارة عن دول صغيرة , أو عبارة عن أجزاء من دول , أو عبارة عن جماعــات إرهابية , أو عبارة عن تعصـبات دينية لا يمكن أن تواجه بالبـاتريوت وبغير ذلك فضلاً عن الصواريخ عابرة القارات أو غيرها .

وفي ختــام مقدمة الكتــاب قــال كلمة طريفة , قــال : "إننا نحــذر أمريكا كما حذر يوسف - عليه الصلاة والسـلام - فرعـون من سـبع سنين شداد تأتي بعد سبع سنين من الرخاء" .
إذن هم يقولون أن سنين الرخاء الـتي يعيشـها الغـرب الآن سـوف تتبعها سنون شداد تحتاج إلى أن تتخذ العدة لها .
أما الفصل المهم في هذا الكتاب فهو الفصل السابع الذي جعلوا له عنواناً (محمد يحل محل ماركس) , وجعلوا النبي صــلى الله عليه وسـلم رمـزاً للإسـلام , وأن العقيـدة الإسـلامية سـوف تحل محل الماركسية في مواجهة الغرب . وهذا الفصل طويل أقرأ جــزءًا منه لأنه في غاية الأهمية .
يقـول : "نتوقع أن يسـيطر القلق الغـربي من تحـدي الإسـلام على الأخبار مـرة أخـرى خلال العقد القـادم , ولقد تجـاوز أتبـاع محمد - صــلى الله عليه وســلم - أتبــاع مــاركس وهم نيــام ، لقد مــاتت الماركسية ولم يكن مـاركس مصـلحاً وهميـاً فقط , بل كـان أيضـاً قصـير العمر شـأنه في ذلك شـأن كل المصـلحين العلمـانيين . في الإسلام يقاس التاريخ بالقرون . الإسلام يعاود الإنطلاق الآن" .
إنها كلمات جميلة أقرؤها وقلبي يمتلأ من السـرور أن يتكلم غـربي عن الإسلام بهذه اللهجة .
ويقول : "وبصدفة غريبة فإن معظم الدول المصدرة للنفط هي إما دول إســلامية كالســعودية والعــراق وليبيا وإيــران , أو مجتمعــات للإســلام فيها تــأثير كبـير مثل أندونيســيا ونيجيــريا وحــتى الاتحــاد السوفييتي ! وفي أكـثر هـذه البلـدان يـزداد الإسـلام جاذبية كبـديل لإستراتيجيات التطوير الفاشلة" .
ثم يقـول : "الإسـلام هو الـدين الـذي يحد أوروبا من الجنـوب ، إنه الدين العـالمي الـذي شـكل عـبر التـاريخ أعظم خطر على التقاليد اليهودية والنصــرانية . إنه أيضــاً دين الــدول الــتي لها حــدود مع إسرائيل وتعارض حلم الشعب اليهودي في إنشاء وطن في الشرق الأوسط . إنه دين أولئك الذين يتحكمـون بـثروات العـالم النفطية , فكما اتضح من أحــداث في عــام 73 ميلادي (يعــني حينما أوقف البـترول واسـتخدم كسـلاح كما تعـبر أجهـزة الاعلام) ومن الثـورة الإيرانية فــإن النفط بلا شك ســلاح يمكن اســتخدامه ، وكل من يتحكم بالبترول فإنه يمسك بزمام الرخاء الصناعي لدى الغرب" .
ثم يقول : "الإسـلام يناسب 1990 ميلادي أكـثر مما يناسب 1890 ميلادي (يعني الظروف اليـوم مواتية للإسـلام أكـثر مما هي مواتية

قبل مائة عام مضت) . بعض فرق الإسلام اعتمـدت الإرهـاب لها ، والإرهاب ينمو كقوة عسكرية بـاقتراب القـرن القـادم . رغم نجـاح أمريكا في طرد العراق من الكويت إلا أن الأمر احتـاج إلى حـرب , وهذا شاهد على انحدار الغرب كقوة وهيبة عسكرية وما العـراق إلا دولة صغيرة سكانها يقاربون عدد سكان بلجيكا . إن محاولة العراق تدل على أنه مقتنع بأن أمريكا عاجزة على كسب حـرب بعيـدة ولو كان ضد دولة صغيرة . إن السيطرة الغربية العسكرية على الشرق الأوسط كـانت صـعبة جـداً في عـام 1920 ميلادي , وقد ازدادت صعوبة في هذا القرن" .
ثم يقـول : "سـيتمكن الإرهـابيون من الانسـياب خلال المؤسسـات العسكرية للقوى الكبرى" .

ثم وضع عنواناً : (فجر قوة كاذبة)
يقول : "تميزت حرب أمريكا ضد العـراق عن حربها في فيتنـام لأن العراق قدم هدفاً ضخماً أمكن ضربه , أما في فيتنام كانت القوات متفرقة في الغابات والأدغال . وقد تبيـن في الأيام الأولى للغـارات الجوية وجود نوع من التفوق العسكري" .
ثم يقول : "إن مما يجعل القانون الإسلامي فعالا للحد من الجريمة هو أنه دين قديم ولم تحرفه علوم الاجتمـاع الـتي تقـدم اعتـذارات للجريمة ، كل الأديـــان لا تشـــجع القتل والســـرقة , وحيث يطبق الإسلام لا يتكلم عدم التشجيع هذا بصـوت نـاعم خـافت . لقد نشر محمد - صلى الله عليه وسلم - قانونـاً تفصـيلياً محـدداً وجلس في مجتمع المدينة قاضياً يقدم إلى جانب القرآن قرارات تخدم أساس القانون الإسلامي - الإسلام المتقيد بالتعاليم - ، لم يظهر أي قانون جديد منذ وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - " .
ثم يقول : (القانون الإسلامي والقيود على الربا)
في هذه الفقرة تحدث المؤلفان عن تحـريم الربا في الإسـلام وفي النصـرانية , وبينا وجهة النظر المشـهورة في الاقتصـاد الرأسـمالي وهو أن القروض الربوية ضرورية لقيام شركات ضخمة .
ثم قـالا " وبمحض الصـدفة , أو ربما برحمة من الله تعـالى , فـإن معظم الـثروة الغربية ترجع إلى أيـدي إسـلامية ثمنـاً للبـترول . إن المجتمعات التقليدية القليلة العـدد في شـبه الجزيـرة العربية حيث عاش النبي صلى الله عليه وسلم منغمسة في البترول . إن الـدول

المسيطرة على البترول تعتـبر من الـدول القليلة الدائنة في عـالم مدين . إن هذه الثروة تجعل تلك الدول عرضة للمعتدين" .

ثم وضع عنوانـاً : (أفرقة أورروبا) - يعـني تحويل أوروبا إلى قـارة أفريقية - .
يقــول : "إن أوروبا تواجه أســلمةً - يعــني تحويلها للإســلام - ، أو أفرقةً لأن الفجوة الاقتصادية والسكانية الديموغرافية - يعـني توزيع السكان - على جـانبي البحر المتوسط بالـذات , والنـاس يهـاجرون من الجنـوب إلى الشـمال" . ثم يقـول : "إن أفريقيا ودول الشـرق تحتـوي الآن على سـكان صـغار في أعمـارهم مقارنة بالأعمـار في أوروبا الــتي تميل إلى الكــبر والشــيخوخة , كما أن أفريقيا قادمة على انفجـــــار ســـــكاني وهي قنبلة موقوتة تمتد على الســـــاحل الجنوبي" .
إذن هو يتوقع في خلاصة الكلام أن العالم الإسـلامي سـوف يحتفظ أولاً بأعداد بشرية كبيرة جداً نظـراً للتنـامي السـكاني المتسـارع . وثانياً أن هـذه الأعـداد الكبـيرة يغلب عليها العنصر الشـبابي نظـراً لكـثرة المواليد في الـوقت الـذي أوروبا كلها وأمريكا تعيش مرحلة الشـيخوخة : أولاً من حيث عـدم التنـامي السـكاني , وثانيا أن ذلك وَلَّدَ قلة في عـدد المواليد وقلة في عـدد الوفيـات فـترتب عليه أن معظم الأوروبيين والأمريكان هم من أصـحاب الأعمـار الكبـيرة من الخامسة والستين فما فوق . وهذا سـوف يتولد عنه تلقائيـاً هجـرة إســلامية إلى أوروبا وإلى أمريكا , هجــرة من عامة النــاس : من العمـال , من أصـحاب الحاجـات , من التجـار , للبحث عن عمل أو البحث عن الــثروة . وكما يقــول أحد الفرنســيين : "إذا لم تــذهب الثروة إلى الناس فإن الناس يذهبون إلى الثروة" , فالقوم الفقراء سوف يبحثون عن الـثروة . وهـذا يفسر التـدفق الهائل للنـاس إلى الولايــات المتحــدة حيث الفــرق في القــوة الشــرائية بين أوروبا وأفريقيا .
إن التوقعات تقـول أن سـكان الشـرق الأوسط - بما فيهم إيـران - سوف يصلون في عام ألفين وثلاثين ميلادي بإذن الله تعالى تقريبـاً إلى ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة مليون , وهذا أكبر بكثير من الرقم المتوقع في المجتمع الأوروبي , وإذا تنافســوا فــإنهم ســيجدون أن أوروبا ســتواجه هجــرة ثقافية وهجــرة تقاليد , إنها ســتكون هجــرة

لقــوة الإســلام . ويتوقعــون أن يكــون معظم المهــاجرين الجــدد مسلمون نشؤوا في الهلال الموازي للبحر المتوسط .
يقـول هـذان المؤلفـان : "إن تـدفق خمسـين مليـون مسـلم على أوروبا خلال العقــود القليلة القادمة سـيجلب إلى أوروبا كثـيراً مما عانته أمريكا وبريطانيا من تدفق الثقافات والجماعـات العرقية مما أرهقها في تحقيق التـــوازن الاجتمـــاعي . إن النمو الســـكاني للمسـلمين النـاقمين سـيكون قوتـاً للتغيـير في أوروبا مع اقـتراب القرن القادم" .
ثم يقول أخـيراً : "إن جاذبية الإسـلام ليست مقتصـرة على مسـألة القوة السياسية فقط .. لا , إن البلاد التي لا عقيدة لها تكون دائمـاً عرضة للبلدان الـتي لها عقيـدة . إن الصـحوة الإسـلامية لها أعـداء كثيرين ومنهم القادة الحاليون في الاتحاد السـوفييتي" . ثم يقـول : "هنـاك أربع قـوى مضـادة هي الأقـرب إلى منطقة الإسـلام والـتي ستعاني أكثر من غيرها من الإسلام وهي الاتحاد الســوفييتي ، الهند ، الدول الدكتاتورية الوطنية في الشـرق الأوسط , دولة اليهـود في إسرائيل" .
ثم يقــول : "المســلمون في الاتحــاد الســوفييتي يتعــاطفون مع اخوانهم المسلمين في أفغانستان وغيرها ، ولأسباب سبق شــرحها يبـــدو أن الجمهوريـــات الإســـلامية ســـوف تنفصل عن الاتحـــاد السوفييتي وربما تدخله في حرب أهلية" . إلى آخر ما ذكر ....
على كل حـــال هو ختم ذلك المقـــال بالحـــديث عن الخطر على إسرائيل وأن تزايد الإسلاميين المتعصبين سوف يؤدي إلى مخــاطر على إسرائيل وعلى الهند , وربما أوجد نوعاً من التفوق التسـليحي و البشري والعسكري للمسـلمين ضد عـدوهم سـواء من اليهـود أو من الهند أو من النصارى أو من غيرهم .

النموذج الرابع : في مقال نشر في مجلة "واشنطن تايم" , وهو عبارة عن أحاديث متنوعة مع عـدد من الخـبراء الأمريكـان , فكـان من هؤلاء الخبراء من يـرى أن على أمريكا أن تقبل وتتحمل صـعود القوى الإسلامية التي أصبحت - كما يقول المقال - تهدد الحكومات الموالية للغـرب في الشـرق الإسـلامي . ويقـول أن الإسـلام قـوة قائمة وقادمة ولا بد من تقبل ذلك وتحمله . على أن طائفة أخـــرى من هـؤلاء يـرون أنه لا بد من تأييد الأسـاليب القمعية الـتي تتخـذها بعض الــدول لمواجهة التيــار الإســلامي , فيقــول مثلا : "لا بد من

الوقوف مع مصر في مواجهة بمن تسـميهم مصر بـالمتطرفين . لا بد من الوقوف مع تونس لمواجهة حزب النهضة ومن وراءه الاتجاه الإسـلامي . و لا بد من الوقـوف مع الجزائر لمواجهة جبهة الإنقـاذ الإسلامي ومواجهة التيار الاسلامي المتنامي" .
ومن هؤلاء "مارتن كريمر" الذي يتكلم عن خطـورة الديمقراطية و "أن على أمريكا (وهو يهودي) أن تتغاضى عن محاولة الحكومـات العربية قمع الحركات الإسلامية , وعلى أمريكا أن تسـكت عن هـذا الاعتـداء على حقـوق الإنسـان لأن تلك الأنظمة وتلك الجماعـات وتلك القـوى الإسـلامية لا تشـكل تهديـداً للـدول العربية فقط بل تشكل تهديداً للغرب ولإسرائيل" .
بينما يقـول خـبراء آخـرون مثل "جـودت كيـبر" - وهو من معهد بروكنـز - : "إنه لا جـدوى من محاولة قمع الحركـات الإسـلامية , ويجب أن نتعلم كيف نعيش معها حيث لن نتمكن من التـأثير على هـذه الحركـات , بل علينا أن نتعامل معها , وكل محاولة لقمعها والقضاء عليها فإنها سوف تؤدي إلى عمليات إرهابية تقـوم بها تلك الحركات مثل ما يحدث الآن في مصر والجزائر وغيرها" .

النموذج الخامس : وهو تحليل قديم في مجلة "الوطن العـربي" مضى عليه أكـثر من خمس سـنوات (في 4/9/1987م) حيث نشـرت تحليلاً بعنـوان (أمريكا تعـود إلى مقاعد الدراسة لتتعلم الإسـلام) . وقـالت أن الكـونجرس يسـأل ما معـنى السـلفية ! وأشـارت إلى أن الإدارة الأمريكية تتحاشى الحـديث العلـني عن الإسـلام والأصـولية , أما الكـونجرس فهو شـديد الاهتمـام بهـذه الظـاهرة وقد عقد عـدة جلسـات واسـتمع إلى شـهادة عـدد من الخبراء سواء كانوا خبـراء أكادميين أو خبراء سياسـيين تكلمـوا عن الإسـلام , ومـوقفهم منه , ومـاذا يحمل الإسـلام , ومـاذا تحمل الـدعوات الإسـلامية المعاصـرة . وقد جمعت هـذه الشـهادات في كتـاب طبع في أكـثر من أربعمائة وأربعين صـفحة وضم حصـيلة شهادات سبعة من الخبراء وكان غالب حـديثهم تشخيصـاً للظـاهرة الإسلامية - كما سـموها - وتوصـيفاً لها وتحديـداً لملامحها وأسـباب ظهورها .

النمـوذج السـادس : في مجلة "ناشـيونال ريفيـو" في 11/5/1992م بعنـوان : (الإسـلام والديمقراطيـة) , ومقـال بقلم

"بيـتر رودمـان" وهو مسـؤول في عـدد من الحكومـات الأمريكية , وقد تكلم هذا الرجل عن انتقـال الأصـولية من الشـيعة كما هي في التجربة الإيرانية وفي ثورة الخميني إلى السنة , وأنها أصـبحت تملأ الفــراغ الــذي خلفه في العــالم الإســلامي كله الإحبــاط الواسع والفشل الذريع للمبادئ القومية والمبادئ الاشـتراكية الـتي حكمت المسـلمين زمانـاً طـويلاً , وقـال إن هـذه الحركـات تكـوّن تهديـداً للحكومات المعتدلة الموالية للغرب في المنطقة , ولقد حـذر بعض المراقبين من أن هذا الانبعاث الإسلامي نزعة شـعبية قوية وأن لها جذور وأسباب سياسـية واقتصـادية واجتماعية ودينية . ثم قـال إنها مرحلة تاريخية يجب أن نتحملها حـــتى تفقد زخمها ويمكن أن تفقد زخمها وقوتها وجاذبيتها بواسطة فشـلها في حل مشـكلات المجتمع .

إذن هو ينــادي بــأن يمكن الإســلام من الحكم في عــدد من البلاد ويــراهن على أن الإســلام سيفشل في حكم البلاد وبـذلك سـيفقد الإســلام وتفقد الجماعــات الإســلامية زخمها وجاذبيتها وتأثيرها كما حدث بالنسـبة للمبـادئ القومية أو المبـادئ الاشـتراكية . ومع أنهم يقولون ذلك فإنه لا أحد أبداً يستطيع أن يجرب الإسلام فعلاً لينظر هل يفشل الإســـلام في إدارة شـــؤون الحيـــاة أم يتحقق العكس وتتحقق المعجزة التي يتحدثون عنها !

وبعد مناقشة عـدد من الخيـارات في مواجهة الإسـلام يقـول : "إنه يمكن للإسلام أن يستنتج أنه ليس للغرب من خيار سوى أن يســلم بشرعية الصحوة الإسلامية ويتعلم كيف يعيش معها" .

ثم يقــول : "ومع أنه ليس هنــاك ســبب أوتومــاتيكي يجعلنا نعتــبر الإسلام حالاً محل الشيوعية في العداوة للغرب , إلا أننا يجب أن لا نتجاهل المبادئ والعناصر الثورية في الإسلام التي تشترك في ذلك مع الأديولوجية الشيوعية" .

النمــوذج الســابع : مقــال نشر في الــنيويورك تــايمز عنوانه "الموجة الإســلامية" وهو مقــال لــ "جــودت ميلــر" متخصصة في شــؤون العــالم العــربي , وهــذا المقــال روت فيه المتحدثة بعض القصص الصـحفية - الـتي قد تكـون صـادقة أو كاذبة - من العـالم الإسلامي . قالت مثلاً : فتاة جزائرية أعـربت عن خوفها وقلقها من أن ابن عمها رفض أن يقبلها وقـال لها لقد تعلمت من أسـاتذتي أن تقبيل المــرأة الأجنبية حــرام ، وشــاب ســوداني ضــربه زملاؤه بعد

إحــدى المظــاهرات فرجع يعــرب عن مخاوفه من الإســلام , كما تتحــدث الصـحفية عن رمضــان الــذي قضــته في مصر وأنه كــان رمضـاناً بعيـداً عن البهجة وبعيـداً عن السـرور المعتـاد ؛ قـالت : "منعت بعض المظاهر التي تعتبر إخلالاً بالأخلاق وبالحيـاء كـالرقص والموسـيقى وغـير ذلك طيلة شـهر رمضـان" , وهـذا الكلام ليس صحيحاً لكن ربما منعت أشياء محددة فحسب من ذلك . ثم تكلمت بكلام غـريب ومهم أيضـاً عن هـذا الموضـوع فقـالت : "إن هنـاك اتفاقــاً على نطــاق واسع بــأن الإســلام السياسي قد كسب قــوة متزايدة من جـراء حـدثين وقعا في الشـرق الأوسط في السـنوات الأخيرة ، الحدث الأول هو نهاية الحرب البـاردة والحـدث الثـاني هو حرب الخليج . إن سـقوط الاتحـاد السـوفييتي والشـيوعية قد نكب القوى العلمانية اليسارية في العالم العربي ، أما حــرب الخليج فقد أوضحت بجلاءٍ العجز والـوهن الـذي أصـبحت عليه الـدول المنهزمة من الحرب , بل والـدول الـتي انتصـرت أيضـاً وذلك لأنها اعتمـدت تمامــاً على القــوة العســكرية الغربيــة" . ثم نقلت آراء عــدد من المفكـرين منهم (محمد حسـين هيكل) - مفكر قـومي مصـري - قال : "بسبب إخفاق الأنظمة الحالية وفسادها وإفلاسها الاقتصـادي , وبسبب غياب الرؤية البديلة فإن هناك فراغـاً سياسـياً كبـيراً . إن الإســلام هو الوحيد الــذي له معــنى بالنســبة لأغلب العــرب" . ثم انتقلت إلى ســؤال خطــير : كيف يواجه الغــرب هــذه الظــاهرة الجديدة - الإسـلام - ؟! قـالت : "إن صـعود الأصـولية الإسـلامية قد أثار مناظرات عديـدة حـول مـاذا يمكن للغـرب أن يفعل ، إن بعض المسؤوليين قد أوضحوا أن الأصولية هي العدو الجديد للغـرب وأنها يجب أن تعامل مثل معاملة الشـيوعية خلال الحـرب البـاردة ، إنهم يقولون ستكون غلطة مأساوية لو نظرنا إلى اتجاه آخر في حين أن هناك أحـزاب إسـلامية كثـيرة يتضح أنها ضد الغـرب وضد إسـرائيل وضد المــــرأة وضد الديمقراطية , وتحــــاول مع ذلك أن تصل إلى الســلطة في منطقة اســتراتيجية هامة ، على أن هنــاك مراقــبين آخرين يرون أن معارضة الإسـلام ومحاربة الصـحوة سـتكون خطـأً سياسياً مفجعاً وسوف تؤدي إلى تعزيز الدوافع المعادية للغــرب .. وذكرت نماذج لهؤلاء وأولئك .

النموذج الثامن : مقال نشر في جريدة الجزيرة قبل أيام عنوانه "مصطلح الأصولية الإسلامية مصطلح مضـلل" وهو لخبـير أمـريكي

في شؤون الإسلام ، تكلم فيه عن لفظ (الأصـولية) , وقـال : "إن المســلمين كلهم أصــوليون حسب التعريف الغــربي , وأن هنــاك إجحافاً في نظر الغربيين إلى الإسلام" .

أما النموذج التاسع : فقد نشر في جريدة المسلمون عدد 405 وقـال فيه "روبـرت كـرين" : "الغـرب لا يثق كثـيراً في الحركـات الإســلامية , ولا يثق في المســلمين بوجه عــام . ويعــود ذلك إلى خلفيات تاريخية تعشـعش في وجدانه منذ أمد بعيد , ولهـذا أرى أنه ما لم تــبرهن الحركـات على أنها ســوف تــراعي وتصــون حقــوق الانسان فلن يكون هناك تعايشاً معها من قبل الغرب" .

أما النموذج الأخير فهو "ويليام كوين" في المسلمون أيضـاً , يقـول : "الإسلام والغرب ليسا قوتين متصادمتين" .

وبعد عرض هذه النماذج ألقي نظرة تحليلية عليها :

أولاً : تتفــاوت الدراســات الغربية كما هو ظــاهر في موقفها من الصحوة الإسلامية , ويمكن أن أقسمها تقريباً إلى ثلاثة أقسام :
القسم الأول : لون من الدراسات غـير الموضـوعية والـتي تتحـدث وتكتب بروح العداء المحض أو بروح التحـريض على الإسـلام وعلى الـــدعوة أو بــــروح التخويف المباشر من الإســـلام كخطر على الحكومـــات الوطنية في البلاد العربية والإســـلامية أو كخطر على إسرائيل أو كخطر على الوجود الغربي بأكمله .. من دون أن تقــدم أي أدلة كافية على ذلك , بل إنها أحيانــــاً تأخذ جزئية صـــغيرة ثم تضخمها وتبالغ فيها ! وعلى سبيل المثال فتوى سماحة الشــيخ عبد العزيز ابن باز في دعم المسلمين في البوسنة والهرسك تصور في التلفزيـون الكـرواتي وفي وسـائل الإعلام على أنها حـرب إسـلامية جديدة سوف تشن في منطقة البلقان ضد كل ما هو نصـراني وكل ما هو صليبـي ويجعلون أحياناً تحت عنـوان "المسـلمون قـادمون" أو "الإسلام قادم" أو ما أشـبه ذلك من العنـاوين المثـيرة . وغـالب هذه المقالات البعيدة عن الموضوعية تكتب في أوقات الأزمـات أو تكتب في مناسـبة بعض الأحـداث العاصـفة مثل أزمة الرهـائن في إيران قبل سنوات أو أزمة العـراق واحتلال الكـويت أو أزمة ليبيا أو قضـايا خطف الطـائرات أو قضـايا نسف السـفارات - كما نسـفت

السفارة الأمريكية في لبنان مثلاً - أو بعض مواطن الاحتكـاك الـتي تدعو إلى إبراز هذا الحدث أمام الغـرب ثم التعليق عليه بما يـوحي بأن المسلمين وراءه أو أن هـذا نمـوذج للحـرب الإسـلامية , ويلقي في حس المشاهد أو المستمع الغربي العادي الخـوف والكـره لكل ما يمت للإســلام بصــلة كنــوع من تمكين وترســيخ الحــواجز ضد الإسلام ، وغالب هذه الدراسات غير موضوعية تفهم الإسـلام أيضـاً من خلال بعض الحركات الخاصة وبالذات الحركات الثورية الشيعية في لبنان وإيران , وتكون مدفوعةً في دراستها بدوافع دينية عدائية ضد الإســلام وأهله , وقد يكتبها اليهــود مــدافعين عن إســرائيل أو يكتبها النصـارى المتعصـبون أو غـيرهم ، فهـذا هو النـوع الأول من الدراسات .

النوع الثاني : دراسات تعتمد على التهـوين من شـأن الإسـلام ومن شأن الصحوة الإسلامية وتعتـبر أنها مجـرد فقاعـات طارئة وسـوف تــــزول ســــريعاً , وأن العلمانية أرسخ في الميــــدان السياسي والاجتمـاعي والاقتصـادي وأقـوى ولا تـزول .. فـيرون مثلاً أن الربا أصبح جزءًا لا يتجزأ من الاقتصاد في العالم الإسلامي فلا سبيل إلى إزالته , وأن النظــام الاجتمــاعي المتحلل في الســوق والجامعة والبيت والإعلام وغير ذلك أنه أصبح راسـخاً ويصـعب اقتلاعه , وأن الأنظمة السياسية العلمانية أيضاً عميقة الجذور .. وبناءً عليه يـرون أن الصحوة الإسلامية لا تعـدو أن تكـون فقاعـات مؤقتة أو ظـواهر عابرة . وهذا اللون من الدراسات بـدأ يقل ويتضـاءل وينقص ويفقد الأدلة يومـاً بعد يـوم تحت مطـارق الحقـائق المتتابعة عن رسـوخ الإسلام وعمقه وامتداده وبقائه . ومن هـؤلاء أيضـاً من يشـكك في قدرة الإسلام على إدارة شؤون البلاد لكن لم يجـرؤ أحد من هـؤلاء قط على أن يعطي فرصة التجربة للإسـلام . إنهم كـانوا يقولـون لا يمكن أن ينجح الإســلام في إدارة شــؤون البلاد ، ولكن لما أوشك الإسلام على الوصول إلى السلطة في الجزائر اتفقـوا جميعـاً على إجهـاض تلك التجربة الانتخابية الـتي يسـمونها ديمقراطية وتتمشى مع قواعدهم وأصولهم لأنها سوف تتسبب في وصول من يســميهم بــ "الأصـوليين" إلى السـلطة , فلم يقبلـوا بـذلك ولا على سـبيل التجربة لأنهم يـدركون أن الوصـول يعـني تغيـير المجتمع وأن تلك الدعوة إذا تمكنت من مقاليد الأمور سوف تفلح في تغيـير عقليـات الناس وأخلاقيات الناس ومبادئ الناس . وربما وجدوا في السودان مثلاً آخر , إنهم كـانوا يراهنــون على ســقوط حكومة البشــير في

السـودان بين عشـية وضـحاها ونظمـوا عـدداً من الإنقلابـات داخل السودان ووجدوا في الأخير أن حكومة الإنقـاذ في السـودان أرسخ وأبقى مما ظنوا , ويوماً بعد يوم تكسب أنصاراً جـدداً من الشـعب نفسه ؛ وقبل ثلاثة أيـام كنت أقـرأ في جريـدة الحيـاة أن مائة ألف متظـاهر مسـلح يجوبـون شـوارع الخرطـوم يهتفـون لانتصـارات الإسلام على النصارى في الجنـوب ، وقد علقت الجريـدة على هـذا بقولها أن الحكومة سيرت هذه المظاهرة لإرهاب الشعب !! فقلت في قلبي سبحان الله ! هذا الـذي يتظـاهر هو الشـعب نفسه - وإذا كانوا اعترفوا بأن العدد مائة ألف فعلينا أن نتصـور أن المتظـاهرين الذين يجوبون شوارع الخرطوم يزيدون على خمسمائة ألف - كلهم يهتفون "الله أكبر" ، وينادون بحكم الإسـلام . الإسـلام ينتصر يومـاً بعد يوم في السودان , فعلى الصعيد الاقتصـادي تم إلغـاء الربا في جميع البنـــوك ومع ذلك حقق الاقتصــــاد الســــوداني ارتفاعــــاً في المعــدلات ما حققه منذ ســنين طويلة , وحقق اســتغناءً عن جميع المعونات التي تأتي سـابقاً عن طريق التسـول من الـدول العربية أو الأجنبية أو صـندوق النقد الـدولي أو غـيره , وحقق انتصـاراً على صـعيد الزراعة سـواء زراعة الـذرة أو السـكر أو القمح أو غيرها , وأنتم تعلمون اليوم أن السـكر السـوداني يبـاع حـتى في هـذا البلد وفي جميع البقالات تجد السـكر السـوداني يبـاع وبأسـعار منخفضة مع أننا نعـرف أنه قبل ذلك كـان المـواطن السـوداني لا يسـتطيع الحصول على السكر إلا بجهدٍ جهيد ، ومثل ذلك اللحـوم السـودانية التي أصبحت تصـدر إلى كل مكـان , بل أصـبحت تـدفع هي وتـدفع الذرة وتدفع أيضاً أشياء من المنتوجات كمعونات مجانية للمسلمين المحتــاجين ســواء في أفغانســتان أو في البوســنة أو في بعض جمهوريات الاتحـاد السـوفييتي أو في العـراق أو في غيرها , فضـلاً عن أن الشعب أصبح يتعاطف مع حكومته بشكل كبير ويشـعر بأنها تلــبي طموحاته . وآخر خــبر ســمعته أن الحكومة في الســودان أنشـأت وأعلنت ما يسـمى بشـرطة الآداب وهي عبـارة عن هيئـات للأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر مهمتها القضــاء على الفســاد ومحاربة المفسدين وقطع دابرهم ونشر الفضيلة بين النــاس , وأن الحجاب الشرعي فرض على البنات في المـدارس جميعـاً كمرحلة أولى لفرضه على المجتمع كله , وهم يقولـون أن الأم الـتي تلـزم ابنتها بالحجـاب وتصـلح الحجـاب وتـديره على وجهها ورأسـها من الصعب جداً أن تحجبها ثم تخرج الأم سافرة متبرجة إلى الشـارع .

فضلاً عن محاولات أخرى لتطبيق الإسلام . وأنا لا أقول أن الإسلام يقوم تماماً في السودان , فإن تطبيق الإسلام أمر يتطلب وقتاً وجهداً كبيراً وصبراً وتعاوناً من المسلمين في كل مكان , ولا زال هناك ثغرات سواء في مجال الإعلام أو في مجال الدعوة إلى الله أو مجال تربية الناس على الإسلام أو في غير ذلك , لا زالت جهود كبيرة تتطلب التعاون , إضافة إلى أننا نتخوف من الأصابع الإيرانية التي تعمل داخل السودان , وتبذل مجهوداً , وتستغل الفراغ الذي أحدثه تخلي المسلمين جميعاً عن هذه الحكومة الصادقة في دعوتها إلى الاسلام .. أقول هذا حسبما أعلم وأتيقن من ذلك إن شاء الله تعالى ، فتحاول إيران أن تنشر شيئاً من مذهبها أو تنشر كتبها أو تقيم بعض المؤسسات والمراكز العلمية والإعلامية والثقافية . على كل حال , هناك جهود كبيرة تدل على نجاحات لم يكن يتوقعها الغرب قط في السودان , وهذا يجعله في الوقت الذي يهون فيه من شأن الإسلام وعدم قدرته على حل المشكلات إلا أنه ليس لديه استعداد أن يمنح الإسلام فرصة ليجرب : "هل يملك الإسلام حلولاً في عهد عمر البشير كما كان يملك حلولاً في عهد عمر بن الخطاب أم لا ؟!" ، ليس لدى الغرب استعداد أن يجرب ذلك .

أما النوع الثالث من الدراسات الغربية فهي الدراسات التي تحاول أن تقدم نفسها على أنها دراسات موضوعية معتدلة , وتحاول أن تفرق بين الطوائف الإسلامية في منهجها وفي موقفها من الغرب وفي غير ذلك , وبالتالي تحدد إمكانية التعامل مع هذه الطائفة أو تلك أو مع هذا النمط أو ذاك . وإن كانت جملة هذه الدراسات تميل إلى منح الإسلام دوراً أكبر في المستقبل , فمعظم الدراسات مجمعة على أن الإسلام له دور كبير في المستقبل , وعلى أن الإسلام يجب أن يوضع في الاعتبار في أي قرار يتخذ .

ثانيا : أن معظم هذه الدراسات تختم بتوصيات وتوجيهات لمراكز صنع القرار في الغرب في كيفية مواجهة ما يسمونه بالصحوة الإسلامية أو الخطر الإسلامي الأصولي .
وعلى سبيل المثال : البروفيسور "دانيال بايبت" قدم بحثاً لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد ، عنوان الدراسة

"المسـلمون المتعصـبون وسياسة الولايـات المتحـدة" , وكـان من ضمن التوصيات التي قدمها وختم بها ما يلي :
أولاً : يجب عــدم تقــديم المســاعدة للمســلمين المتعصــبين في صفوف المعارضة مع أن الاتصال بهم مفيد في معرفتهم والتعــرف على ما عندهم إلا أنه يجب عدم مد يد العون إليهم .
ثانيــاً : يجب نصــرة الحكومـات الإسـلامية ونصـحها بعـدم إدخـال المتعصـبين في صـفوفها إذ إن مشـاركة المتعصـبين في صـفوف الحكومات سوف تؤدي إلى سياسة معادية للأمريكان .
ثالثـاً : يجب تخفيض الروابط الأمريكية المعلنة بالحكومـات العربية والإسلامية ولا سيما في البلدان الـتي تكـون فيها حركـات متعصـبة قوية لأن هـــذا خطر على تلك الحكومــــات , وهنا من الممكن أن نقــدم التعــاون الخفي الســري النشط كبــديل عن الروابط العلنية المعلنة الواضحة التي تحرج أصدقاءنا في العالم العربي والإسلامي .
ويقــول التقرير في النهاية : يجب أن لا يقــرر الزعمـاء المســلمون وحــــدهم طبيعة العلاقة الصــحيحة الـــواجب إقامتها مع الولايـــات المتحدة ، بل على أمريكا أن تحـدد وتقـرر مثل هـذه العلاقة وليس سواها .

ثالثا : أن الصـحوة الإسـلامية في كل هـذه التقـارير حَـدَثٌ فـرض نفسه على الساحة , وهذا يذكرنا بالأمر الذي كان يقوله المنـافقون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنهم أول الأمر ظنوا أن مجيء النــبي صــلى الله عليه وســلم للمدينة لن يغــير كثــيراً من الأحداث وأنه موقوت ولكنهم وجدوا أن الإسلام ينتقل من نصر إلى نصر وما بقي بيت إلا دخله الإسلام , ثم توج ذلك بمعركة بدر الـذي خرج الإسلام فيها ظافراً منتصراً , فلما حصل ذلك قال عبدالله بن أبيّ ومن معه من المنافقين : "هذا أمر قد توجه" ! فبـايعوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام !!.. وهكذا يفكر الغرب في كثير من مراكزه ودوائره ، سـواء كـانت دوائر اسـتخبارات أو دوائر علمية أو دوائر سياسية , أن الصـحوة الإسـلامية اليـوم حـدث كبـير وعظيم بكل المقـــاييس وأنها تملك من وســـائل العلم والخـــبرة والإعلام وغـــير ذلك الشـــيء الكثـــير , بل تملك من المؤسســـات الاقتصـــادية والسياســـية ومراكز البحث ما يجعلها ذات نفـــوذ على المستوى الإسلامي الشعبي العـالمي . وبنـاءً عليه فـإنهم يطـالبون

في كثـير من الأحيـان بـأن تعطى الفرصة للصـحوة الإسـلامية , ويعتبرون هذا أحياناً نوعاً من الاعتراف بها , ويعتبرونه أحياناً أخرى من أجل إزالة الـبريق واللمعـان والجاذبية للإسـلام , فـإن الإسـلام حينما يضـطهد ويضـيق عليه ويحـارب يكسب مزيـداً من الأنصـار ومزيداً من المحبين ومزيداً من المتعاطفين معه , وهم يظنـون أن إعطائه بعض الفرصة سوف يترتب عليها إجهاضاً للتجربة الإسلامية كما يعبرون .
ينبغي أن نـدرك أنه في الـوقت الـذي تطـالب فيه مراكز الإعلام الغربية في عـدد غـير قليل من دراسـاتها بإعطـاء الإسـلام وحملته فرصـــةً كافية , فإننا نجد أن الكثـــير من المتنفـــذين في العـــالم الإسلامي يتجاهلون الوجود الإسلامي القوي .. ففي مصر مثلاً على رغم القوة الإسـلامية الضـاربة , وعلى رغم أن أعـداد المنتمين إلى الإسـلام - بل إلى الصـحوة الإسـلامية - تعد بمئـات الألـوف إلا أن الحكومة تمضي قـــدماً في أســـلوب المواجهة الشرسة مع من تسـميهم بـالمتطرفين , وتعطي أجهـزة الأمن أوامر بقتل كل من يشـــتبه فيه , وما أســـهل أن تلصق به تهمة أنه هجم على بعض السواح أو قتل قبطياً أو اعتدى على رجل أمن !! ومن كـان شـاكاً في ذلك فعليه أن يذهب ليسأل القتيل عن هـذه الـدعوى . وكـذلك ما نجـــده في الجزائر اليـــوم حيث كـــان إجهـــاض تلك التجربة الدستورية الديمقراطية - كما يعبرون عنها - ومواجهة الإسلام كـان سبباً في تمزق المجتمع وكان سـبباً في دخـول المجتمع في دوامة العنف الـتي لا تنتهي : الاغتيـالات ، ملاحقة رجـال الأمن ، قنصـهم بطريقة مدروسة مدربة , وهذا بلا شك سيعود علىالبلاد كلها بـألوان من التمـزق الاجتمـاعي والتمـزق السياسي وإهـدار ثـروات البلاد وخيراتها وعدم قدرتها على تحقيق أي برنـامج اقتصـادي أو برنـامج علمي أو إعلامي أو تعليمي أو عسكري أو غـير ذلك , لأن البلاد في ظل عدم الاستقرار الأمـني لا يمكن أن تصـنع شـيئاً يـذكر . فهكـذا كان تجاهل الصـحوة الإسـلامية في تلك البلاد سـبباً في دخولها في متاهــات من التمــزق لا مطمع لها في النجــاة منها والخــروج إلا بالاعتراف بالإسلام كقوة قائمة وضاربة , والتعامل معه بموضـوعية واعتدال .

رابعا : إن الغرب يتحـدث عن الصـحوة الإسـلامية لا أقـول حـديث المعـترف بها فحسب ، بل حـديث المرعـوب منها ، وهـذا يـذكرنا

بقول النبي صلى الله عليه وسلم "نصرت بالرعب مسيرة شـهر" . إن الغرب يحسب دائما حسابه في التطورات والأحداث الـتي قد لا يمكن قياسها أو التنبؤ بها كما جرب ذلك كثيراً ، فهو يدرك أن رحلة الألف ميل تبدؤ بخطوة واحـدة , وأن هنـاك احتمـالات كثـيرة لمزيد من الرسوخ للإسلام وللصحوة الإسلامية .

من هذه الاحتمالات مثلاً :
أولاً : التلاحم بين الشعوب الإسلامية وبين الصـحوة , فهم يـدركون أن من أخطر الأمـور أن تصـحوا الشـعوب الإسـلامية على صـوت النذير , وأن تدرك أن نجاتها وأن تحقيق طموحاتها الدينية والدنيوية هو أن تجعل أيديها في أيدي دعاة الإسـلام , وهـذا بلا شك وجد في الجزائر ووجد اليوم في السـودان وهو على وشك أن يوجد في بلاد كثيرة جداً ! مصر مثلاً يوجد تعاطف كبير مع الجماعـات الاسـلامية في منـاطق الصـعيد كلها بل في مصر كلها ، لقد عرفـوا أن الـذين وقفــوا معهم في الزلــزال هم من الإســلاميين من نقابة الأطبــاء ونقابة المهندسين , وكانت أجهزة الأمن تلاحقهم وتقبض عليهم !!! واليـوم قـرأت خـبراً أن أجهـزة الأمن حاصـرت مسـجداً من أجل القبض على أحد الشــباب فوقف المصــلون كلهم جميعــاً بــدون اســتثناء في وجه أجهـزة الأمن وقـالوا إما أن تقـوم أجهـزة الأمن بمغـادرة مواقعها وإلا سـوف نواجهها جميعـاً ، فاضـطرت أجهـزة الأمن إلى الانسـحاب من الموقع وقـالوا : كـان جميع المصـلين من المتطـرفين ! فيا سـبحان الله ، تحـول الشـعب في مصر كله إلى شعب متطرف على حسب التعبير هذا . إن الشـعب لا يقبل الكلام الإعلامي الذي تردده الصـحف عن المتطـرفين الـذين لا هم لهم إلا القتل والســلب والنهب والحــرق وقتل النــاس من غــير جريمة والكذب , وربما وصفتهم الصحف بالخيانة والإجـرام والاعتـداء على الأعــراض والاهتمــام بــالجنس إلى غـير ذلك من قائمة الاتهامـات الباطلة التي أصبح الناس يكتشفون يومـاً بعد يـوم أنه لا رصـيد لها من الواقع .
إذن هنــاك حملة إعلامية للحيلولة بين الشــعوب الإســلامية وبين الصحوة الإسلامية ، ومع ذلك فإن الأمر بإذن الله تعالى يتجاوز هذه الحــدود والســدود ، واســتطاع الــدعاة إلى الله والمســلمون والمصــلحون على رغم التعــتيم الإعلامي أن يخــاطبوا كثــيراً من المسلمين وأن يصـلوا إلى قلـوبهم وأن يقنعـوهم بالحقيقة ويزيلـوا

عنهم زيف الإعلام العربي الكاذب الذي صوّر الصحوة أبشع تصــوير .

ثانيا : وجــود نــوع من الوحــدة الإســلامية الــتي يتنــادى لها العــالم الإســلامي كله , العــالم الإســلامي الــذي يملك أعــداداً بشــرية تزيد حسب الإحصــائيات العالمية على ألف مليــون إنســان وهو يتنــامى بسرعة وبقوة غريبة ، والعالم الإسلامي الذي يملك الثروات الهائلة الطائلة ، بل العالم الإسلامي الذي أصبح اليوم يملك حتى الأســلحة النووية كما في دول آسيا الوسطى وغيرها فضلاً عن أنه يملك قبل ذلك كله الــدين والعقيــدة الــتي يمكن أن يغــزو بها العــالم ويجتمع عليها وهي عقيدة الإسلام ودين الإسلام ؛ فإن هذا العالم الإســلامي لو توحد أو وجد نوعا من التنســـيق الاقتصـــادي أو العســـكري أو السياسي بين حكوماته لكان قوة كبيرة . وقد يوجد أحيانــاً نــوع من التنســـيق لكن التنســـيق الـــذي يوجد اليـــوم هو تنســـيق لمقاومة الأصولية وفي حرب الإسلام ! كما نجد في الاجتماعات التي عقدت في المغرب العربي - في نواكشوط - وكــان همها أن تقــوم بإعــداد برنامج للوحدة الاقتصادية أو التكامل الاقتصــادي , فلما فشــلت في هذه المهمة لم تجد بداً من أن تصــدر بيانــاً مشــتركاً تحــذر فيه من خطر الأصولية الذي يهدد دول المغــرب العــربي ومن ضــرورة وضع اســتراتيجية مشــتركة لمقاومة الأصــولية والقضــاء على التطــرف والإرهاب وغير ذلك من العبارات والمصطلحات .
ماذا لو وُجِدَ نــوع من الوحــدة بين دول العــالم الإســلامي ، الوحــدة على دين الله ، الوحدة لحماية الإسلام ، الوحدة للدفاع عن أراضي المسلمين ، الوحدة لمناصرة قضايا المسلمين ؟
لقد عجزت أكثر من سبع وأربعين دولة إسلامية في الأمم المتحــدة أن تفــرض قضــية البوســنة والهرسك على مجلس الأمن , ولا أن تنتزع قراراً منه بحال من الأحوال , ولا أن تسمح حــتى للمســلمين بأن يشــتروا الســلاح ليــدافعوا عن أنفســهم , فهم لا شــأن لهم الآن لأنهم دول متفرقة تدور في فلك الغــرب وفي ركابه ، لكن لو وُجِــدَ أحداث معينة جمعت المسلمين ووحــدت صــفوفهم على كتــاب الله تعالى وســنة نبيه صــلى الله عليه وســلم وعلى المنهج الحق وعلى القيادات الراشــدة الــتي ما دافعت إلا عن دين الله وما اجتمعت إلا لنصــرته وإلا للمدافعة عن قضــايا المســلمين ، لو وُجِــدَ نــوع من

التنسيق بين هذه الدول الإسلامية لكانوا قوة عالمية لا يستطيع أن يقف في وجهها أحد .

ثالثا : امتلاك السلاح النووي . إنهم يتكلمون الآن عن إيران بالدرجة الأولى أنها أصبحت قوة نووية في المنطقة , وأنها أصبحت ذات نفوذ فعال , ولكنهم يدركون أيضاً أن الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي يملك عدد منها السلاح النووي وأنه خلال السنوات ليست بالبعيدة يستطيع المسلمون الحصول على هذا السلاح الذي إسرائيل قد ملكته منذ زمن بعيد .

رابعا : الكثافة السكانية . إنهم يلاحظون أن المسلمين يتزايدون بشكل كبير في الوقت الذي يحد الغرب فيه من النسل حتى إنني وجدت المسلمين في أوروبا : في فرنسا وفي بريطانيا ، أنهم أكثر من يأخذ الإعانات على المواليد من تلك الدول , أما الغربيون أصحاب البلاد الأصليون فإن الواحد منهم إذا جاءه طفل أو طفلان أو ثلاثة على أكثر تقدير توقف عن الإنجاب نهائياً , أما المسلم فإنك تجد عنده عشرة أو خمسة عشر من الأولاد , ونفقتهم تعتمد على الإعانات التي تدفع لتشجيع النسل ؛ فحتى الإعانات التي يدفعها الغرب لتشجيع النسل ظفر بها المسلمون المقيمون هناك . حدثني أحد الدكاترة وكان مقيماً في أستراليا وهي قارة قليلة السكان وإلى جوارها أندونيسيا وهي أكبر تجمع إسلامي في العالم وفيها أكثر من مائة وخمسين مليون إنسان .. يقول إن الأستراليين اليوم يتكلمون عن مجيء المسلمين من أندونيسيا إلى أستراليا واستقرارهم فيها وهيمنتهم واحتلالهم لها وكأنه أمر يقيني مفروغ منه وكأنه نزل عليهم به نبوءة صادقة لا شك فيها . يتكلمون عن ذلك كلام المستيقن لأنهم يرون أن هذا العدد الكبير المتنامي ليس أمامه خيار آخر وأنه سوف يجتاح هذه القارة الخالية (أستراليا) وسوف يستوطنها , ولذلك فهم يعدون العدة الآن لاستقبال هذه الكثرة الإسلامية . ومثل ذلك ما قرأته قبل قليل في كتاب (التوقع العظيم) من ترقب أمريكا وأوروبا مجيء المسلمين من آسيا وأفريقيا إلى تلك البلاد حيث الثروة وحيث الصناعات الكثيرة , ومثل اليابان أيضاً حيث الصناعات الكثيرة التي سوف تحتاج إليهم . وبناءً على ذلك فإن الإسلام يهدد أوروبا , ليس فقط في العالم الإسلامي بل حتى في عقر دار أوروبا وأمريكا .

خامسا : إن هنــاك تباينــاً واضــحاً وكبــيراً بين الإســلام والصــحوة الإسلامية من جهة , وبين الغرب والمبادئ والـدول الغريبة من جهة أخرى . هـذا التبـاين في عـدة أمـور وأعظمها الـدين ، فـإن العـالم الاسلامي والصحوة تنبثق من دين الإسـلام الـذي يقـوم على كتـاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم , ويعتبر أن أي زيادة في الدين هي من البدع التي تجعله محـدثاً ، كما قـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم : (من أحـدث في أمرنا هـذا ما ليس منه فهو رد) , وفي رواية : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) . ولهـذا منذ وفـاة النـبي صـلى الله عليه وسـلم لم يطـرأ على الإسـلام أي تغيير ولم يدخل في الإسلام أي قانون أو نظـام أو حكم جديد , فهو دين كما أنزل لم تعبث به يد التغيير والتحريف وهذا سر من أسـرار عظمته ، ففي ذلك حفظ الأمن وحفظ الاقتصــــاد .. وظل يقــــاوم العــوادي على رغم من ألف وأربعمائة ســنة .. وإذا كــانت عــداوة الشيوعية لأوروبا عمرها سبعون سـنة فـإن عـداوة الإسـلام لأوروبا عمره ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة .

الجــانب الثــاني هو النمط الاجتمــاعي والســلوكي والحضــاري الإسلامي المخالف للنمط الغربي ، فالغرب مثلاً يقوم على أساس الإباحية ، يقــوم على أســاس حقــوق معينة للمــرأة ، يقــوم على أساس أنماط اجتماعية مختلفة ، أنماط سلوكية ، أنماط حضـارية ، موروثات عقلية واجتماعية كثيرة ؛ والإسلام يقيم مجتمعـاً متكـاملاً بعيداً عنها كل البعد ، والغرب ينـزعج من أي نمط سلوكي حضاري أو مخالف لنمطه .

النقطة الثالثة هي قضـية الجهـاد في الإسـلام وهي أكـثر ما يخيف الغرب . إن المسلم يؤمن بأن الجهـاد قـائم إلى قيـام السـاعة كما ذكر النـبي صـلى عليه وآله وسـلم ، وأن المسـلم القـادر يجب أن يجاهد الكفـار والمنـافقين حـتى يعـترفوا بأحد ثلاثة أمـور : إما أن يــدخلوا في دين الله عز وجل ، وإما أن يعطــوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وإما فالسيف بيننا وبينهم . وهـذه عقيـدة مسـتقرة لـدى المسـلم وهي أكـثر ما يخيف الغـربي لأنه لا يعـرف الإسـلام إلا من خلال السيف ، ولذلك فإن العالم الغربي يعيش كرهـاً شـعبياً عامـاً للإسلام ، فعامة الشعوب الغربية تكـره الإسـلام وتكـره المسـلمين وتبغضهم وتخاف منهم , وصورة المسلم أو العــربي مجــرد ظهورها ولو في التلفزيــون مثلاً أو مشــاهدتهم له في الشــارع تثــير في

نفوسـهم وقلـوبهم التقـزز والكراهية والاشـمئزاز ، وتتـداعى في عقولهم مجموعة من المعـاني السـيئة : اضـطهاد المـرأة ، القتل ، سفك الدماء ، تعدد الزوجات , الرق , إلى غير ذلك من المعـاني .. فضـــلاً عن مجموعة من الأحـــداث ، مثل خطف الطـــائرات ، الاغتيالات ، تفجير السـفارات ، الحرائق إلى غـير ذلك من الأعمـال الـتي نجح الإعلام الغـربي في ربطها بـدين الإسـلام ليحـول بين الإنسان العادي في الغرب وبين الإسلام .

أيضاً هناك القيادات الغربية سواء كـانت قيـادات سياسـية أو علمية فإنها تسعى إلى تعميق الهوة بين الشـعوب الغربية وبين الإسـلام , وتحاول إثارة مشاعر الغضب كلما هدأت .

وهذا كله لا يمنع من وجود أفراد قلوا أو كثروا في تلك المجتمعـات وفي تلك البلاد من السذج الذين لا شأن لهم , أو حتى ممن درسوا الإسـلام ولا يحملـون للإسـلام كرهـاً أو حقـداً أو عـداوة ، ولكنهم يظلـــون أقلية لا يحسب لها حســاب , وهـــذا ليس بغـــريب ففي المجتمع المكي مثلاً في زمن النـبي صـلى الله عليه وسـلم كـان هنـاك من بين الكفـار من لا يحمل للمسـلمين بغضـاً ، وعبدالله بن أريقط الـذي كـان دليلاً للرسـول صـلى الله عليه وسـلم في حادثة الهجـرة مع أبي بكر كـان هاديـاً أمينـاً فأمنه النـبي صـلى الله عليه وسلم على هذا الأمر وجعله دليلاً له في رحلة الهجرة .

وهكـذا يوجد في كل زمـان ومكـان أفـراد قد لا يحملـون العـداوة للإسلام أو معلومات مسبقة عنه أو حقداً عليه ولكن هـؤلاء الأفـراد يضيعون في تيار شعبي جارف من العداوة للإسلام ويضيعون أيضـاً في عمليـــات مبرمجة منظمة تـــديرها القيـــادات الغربية لتحريك العداوة للإسلام كلما هدأت .

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى وصـلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

* * * * *